دارفور أكثر تعقيدًا من رواية عرب مقابل أفارقة

المؤلف: انطون لين
التاريخ: مايو 2020

هناك رواية خاطئة في بعض أقسام وسائل الإعلام مفادها أنه يمكن تقسيم السودان كله إلى مجموعتين. قبائل عربية بدوية ومزارعين أفارقة مستقرين.[1] ووفقاً لهذه الرواية يمكن أن يُعزى لذلك الحروب الأهلية والتمردات في السودان، والصراع بينهما.

إن الدعوة للعمل في هذا المقال الموجز هي لطلب إعادة إدخال الشرط الطبيعي المتمثل في تقديم دليل على وجود دافع معقول وموثوق عند توجيه اتهامات بالإجرام لتحليل الأحداث في دارفور. علاوة على ذلك، إن عبارة "عربي مقابل أفريقي" كدافع عام تعزي وتسند إليه أفعال كل الدارفوريين، يجب إسقاطها كإفراغ كافٍ لهذا العبء الإثباتي من محتواه. بل يجب تقديم الأدلة لكل حالة محددة.

يسمح استخدام رواية التوتر العنصري كوعاء جامع لمن يوجهون اتهامات السلوك الإجرامي بإعفاء أنفسهم من مبدأ عادي في القانون الجنائي، وهو إثبات الدافع للارتكاب الفعل الجنائي. كما يبدو أن الدافع مثبت في القضية العامة –جميع الفاعلين الدارفوريين مدفوعين بدوافع عرقية –وهكذا يتنزل ذلك شيئاً فشيء إلى تطبيقه على أي دارفوري دون أي مسؤولية على الذي يوجه الاتهام لتقديم دليل حقيقي أو متماسك ومترابط منطقياً.

وبدلاً من تقديم أدلة على سبب رغبة حميدتي في فعل الأشياء التي يُتهم بها أحيانًا، فإن هذه الرواية التبسيطية تسمح لموجهي الاتهامات بنسب دوافعه إلى كراهية عنصرية للأفارقة. وتم استخدام ذلك ضد الآخرين أيضًا. ما الذي يحاول قادة الجماعات المسلحة مثل حركة العدل والمساواة (JEM) أو جيش تحرير السودان –جناح ميني ميناوي (SLA–MM) تحقيقه في مفاوضات السلام مع الحكومة؟ الهيمنة العرقية للزغاوة على العرب في دارفور بالطبع. إنها مقاربة سهلة بقدر ما هي غير أمينة فكرياً.

كانت تكتيكات الرئيس البشير في فرق تسد، سيتم إحباطها من خلال تشكيل كتلتين كبيرتين متحدتين، من أفارقة وعرب. فهو قد فاقم التوترات بينهما، لكن ذلك لم يكن تمريناً توحيدياً موحدًا، بل سعى لخلق التنافس والخصومات في داخلهم أيضًا. في الواقع، صرح كبار قادة إثنين من أقوى المجموعات التي نجت من عهد البشير، وهي قوات الدعم السريع (RSF) وحركة العدل والمساواة، حيث أوضحا صراحة أن قوتهم والكثير من جاذبيتهم تأتي من كون أن لهم شمول عرقي.[2]

---

1. (السلطة، 2004) هو مثال من بين العديد من أوائل أعوام الألفية الثانية 2000. في حين أن معظم المناقشات تقبل الآن رواية أكثر دقة لدارفور، فإن المناقشة الحالية حول قوات الدعم السريع يمكن أن تؤدي بسرعة إلى تاريخ الجنجويد ومن ثم فهي خطوة قصيرة إلى الوراء إلى تبسيط الثنائية غير الصحيح. (ترو Trew، 2019)هو مثال حديث لكيفية إنه مازال هناك عدم فهم المشكلة بشكل صحيح.
2. (حمدان دقالو، 2019) و (الفكي، 2020). عبد الرحيم حمدان دقالو هو قائد قوات الدعم السريع، في حين أن الدكتور الطاهر الفكي هو قائد غير عسكري في حركة العدل والمساواة.

لعبت قوات الدعم السريع دورًا محوريًا في عزل الرئيس البشير من منصبه، وقضت حركة العدل والمساواة ستة عشر عامًا في تمرد مسلح ضده. انتهت هاتان المجموعتان إلى النجاح جزئياً لأنهما تغلبتا على فتنة الانقسامات القبلية والعرقية التي أثارها البشير. فإن رواية التقسيم البسيط بين عرب بدو رُحل ومزارعين أفارقة هي رواية خاطئة.

والحال كذلك، يجب التساؤل بجدية عن اتهامات العنف الموجهة ضد المجموعات الدارفورية، على أنه يُرتكب ببساطة على أساس العرق، يجب الارتياب والطعن في هذه الاتهامات بجدية في غياب أدلة محددة.3 قد يكون التطهير العرقي منهجًا للرئيس البشير، ولكن بدون أدلة تفصيلية لا يمكن إسناده وعزوه كدافع لأفعال الآخرين.
هناك مثالان لتوضيح نقطة أن هناك توترات وتحالفات بين التجمعات عند مستويات أعمق بكثير من التفاصيل أكثر من مجرد أفريقي مقابل عربي.

المثال الأول من عام 2003 وينظر في الاستجابة المبكرة لدعوة البشير لحمل السلاح. حيث انضمت قبيلة التُنجر الأفريقية إلى الميليشيات "العربية" الحكومية في عام 2003، وقاتلت ضد المساليت (مزارعين أفارقة مستقرين) والزغاوة (رعاة أفارقة الرحل) والفور (كلاهم من المزارعين الأفارقة المستقرين وبعض رعاة الماشية الرحل) الذين كانوا في تمرد ضد الحكومة. وفي غضون ذلك، رفض فرع قبيلة المهرية العربية البدوية الانضمام إلى الميليشيات الحكومية وعوقب بسبب ذلك.4 لهذا ليس فقط أن روايات الفواصل القبلية لا تفسر الوضع، لكن أيضا روايات المزارعين مقابل الرعاة الرحل كذلك لا تقدم تفسيرات.

يوضح المثال الثاني، منذ عام 2006، مدى تعقيدات العلاقات القبلية. في داخل قبيلة الرزيقات، يقع حميتي من فرع قبيلة المهرية وموسى هلال من فرع قبيلة المحاميد (الذين وقعت بينهما معًا في وقت لاحق واحدة من أعنف الخصومات الدارفورية)، فكل منهما وقع معاهدات عدم اعتداء منفصلة مع جماعة حركة العدل والمساواة من الزغاوة وهما مجموعتين أفريقيتين متمردتين. وقع مختلف قادة المهرية (بما فيهم حميدتي) على معاهداتهم الخاصة مع مجموعة حركة تحرير السودان–جناح عبد الواحد الأفريقية من الفور بقيادة عبد الواحد أحمد نور، كما فعلت جماعة النور أحمد (ولكن ليس موسى هلال) من المحاميد، بينما قامت مجموعة واحدة مختلطة من المحاميد والمهرية، تحت علي أبوندجات بالانضمام بالكامل إلى جيش تحرير السودان –فصيل عبد الواحد.

من الجدير بالذكر إنه مضت قرون من التزاوج بين تلك القبائل، لذلك الفواصل بينها ليست ثابتة دائمًا، بحيث لا يتعرف جميع السودانيين على التسميات الاثنية حسب أعراق وثقافات القبائل الفرعية والعشائر المنسوبة إليهم من التصنيف الغربي، كما أن ليس جميع أعضاء أي مجموعة معينة يفكرون على حد سواء بنفس الطريقة عن أي موضوع معين.

3. (فلينت، 2010) يشرح الحروب بين المجموعات العربية في دارفور.
4. للحصول على تحليل مفصل للقرارات التي اتخذتها الجماعات العرقية المختلفة في ذلك الوقت، انظر (فلينت، 2009 ص 29-16).

وهذا يسلط الضوء على خطر عزو الدوافع المستمدة من العرق لشرح الأفعال المزعومة. فذلك لا يصلح كتفسير عندما يتعلق الأمر بتحديد المسؤولية القانونية الجنائية ولا حتى عند محاولة وضع افتراضات حول ميزان الاحتمالات حول حدوث أي شيء. لا يرتكب الناس عادة جرائم حرب أو إبادة جماعية، وهذا ينطبق على العرب والأفارقة على حد سواء أو على البدو الرحل والرعاة، مثلما ينطبق على أي شخص آخر.

قد يكون هناك من ارتكب جرائم، حتى جرائم حرب، على أساس عرقي. لا شيء هنا يجادل بأنه بالنسبة لحوادث معينة لم تكن كذلك. لكن هذه تهمة خطيرة ومثيرة للانقسام الاجتماعي بتقديمها، وهناك حاجة إلى أدلة أكثر تفصيلا بكثير لإثبات أي حالة محددة؛ ناهيك عن هل تستحق شعوب منطقة بأكملها تصنيفها على أنها عنصرية، وهو ما يفعله السرد ضمنياً.

لذلك يجب إعادة النظر في الاتهامات العديدة ضد الجهات الفاعلة في دارفور، مثل قوات الدعم السريع، وحركة العدل والمساواة، وجيش تحرير السودان –فصيل عبد الواحد، وجيش تحرير السودان –فصيل مناوي. ويقع العبء على عاتق أولئك الذين يوجهون الاتهامات لإثبات دافع موثوق به من جانب المتهم. لأن مجرد الانتماء إلى قبيلة دارفورية أو إتباع أسلوب حياة على مدى السنوات العشرين الماضية ليس في حد ذاته دليلاً على النية الإجرامية.

دراسة أصول الأعراق والثقافات/الإثنوغرافيا المبسطة المبينة أدناه ليست شاملة بأي حال من الأحوال لدارفور، ناهيك عن أن تكون شاملة للسودان. وما تقوم بإظهاره هو تلك الفروق الحصرية على غرار عرب مقابل أفارقة، أو بدو مقابل رعاة، فإن ذلك لا ينطبق على دارفور. ومن غير المستغرب، إنه من بين ملايين البشر الذين يعيشون في دارفور، هناك عرب مزارعين ويوجد أفارقة بدو رحل، وكانت التحالفات والتنافس والخصومات المتغيرة هي أكثر محلية في طبيعتها بكثير مما يسمح به انقسام أو تقسيم ثنائية عربي–أفريقي.

يذكر استعراض أصول الأعراق والثقافات/الإثنوغرافيا بعض القبائل التي شاركت بصورة أكثر كقوة فاعلة في أو أنها تؤثر على الأحداث الرئيسية في دارفور التي شكلت الوضع الحالي. الأسماء القبلية المدرجة هي تلك التي تحدث بتواتر وتكرار أكبر في تاريخ الصراعات الدارفورية، وعلى هذا النحو فإن هذه القائمة تخدم غرضًا إضافيًا كمرجع للذين يبحثون عن سياق للنسيج العرقي المعقد للمنطقة. وقد شارك العديد من المجموعات والأفراد أكثر من المذكورين هنا.

الأسماء الجماعية

أبالة	رعاة الإبل
البقارة	رعاة الماشية

القبائل العربية –البدوية

الرزيقات	• ينقسم العرب البدو بشكل عام إلى مجموعتين: ○ **الرزيقات الشمالية من شمال دارفور وشرق تشاد وهم أبالة. هؤلاء من بعض أفقر سكان دارفور، حيث فشل النظام القانوني بعد انتهاء الاستعمار في توفير مجال لأي نوع من حقوق الأراضي لهؤلاء البدو.** ○ **الرزيقات الجنوبية من جنوب شرق دارفور، ومعظمهم من البقارة.** • تنقسم الرزيقات إلى قبائل فرعية، أكبرها: ○ **المحاميد. ينحدر موسى هلال من هذه القبيلة الفرعية، وتحديداً من عشيرة أم جلول.** ○ **المهرية. حميدتي هو واحد من قادة المهرية.** ○ **نويبع.**
بني هلبه	• قبائل بقارة عربية بدوية. • تقليديا كانت لها حقوق أراضي في جنوب دارفور.
المسيرية	• قبيلة بقارة عربية شبه رحل من جنوب تشاد وجنوب دارفور. • تقاتلت مع الرزيقات الأبالة حول التوغل في أرض المسيرية.

القبائل العربية –المستقرة

بني حسين	• مزارعون عرب مستقرون من دارفور.

القبائل الأفريقية –البدوية

الزغاوة	• رعاة أفارقة رُحل، مع بعض المزارعين المستقرين، من شرق تشاد ودارفور.

	• حركة العدل والمساواة بقيادة جبريل إبراهيم وحركة تحرير السودان –فصيل ميني ميناوي من قلب معاقل الزغاوة، على الرغم من أن حركة العدل والمساواة تضع نفسها كحركة لعموم السودان ولديها أعضاء من كل من القبائل الأفريقية والعربية.[5] • القبائل الفرعية التي كان لها أكبر الأثر على السودان هي: ○ **كوبي (Kobe)**. هم في الغالب في السودان، مع عدد أقل من السكان في تشاد. هذه القبيلة الفرعية هي أكبر عنصر في حركة العدل والمساواة وهم أبالة رُحل. ○ **وجي (Wogi)**. قبيلة ميني ميناوي كلها تقريباً في السودان ومستقرة. ○ **البيديات(Bideyat)**. عددها قليل في السودان، وأغلبيتها في تشاد، بما في ذلك الرئيس التشادي إدريس ديبي. وقد قدموا عددا كبيرا من المقاتلين لحركة العدل والمساواة منذ عام 2003.

القبائل الأفريقية –المستقرة

الفور	• هم مزارعون أفارقة مستقرون، وبعضهم بقارة رُحل، من دارفور. • جيش تحرير السودان –فصيل عبد الواحد أغلبه من الفور.
المساليت	• مزارعون أفارقة مستقرون، من غرب دارفور وشرق تشاد.
البرجد	• مزارعون أفارقة مستقرون من جنوب دارفور. • يعيشون في نفس المنطقة مع قبيلة المسيرية العربية البدوية.
التنجر	• مزارعون مستقرون، ربما في الأصل من أصل عربي ولكنهم أصبحوا الآن مندمجين مع شعب الفور الأفريقي، الذين يتحدثون لغتهم.
القيمر	• قبيلة كبيرة في غرب دارفور، متحالفة في الغالب مع حركة العدل والمساواة.
البرنو	• قبيلة نيجيرية من ولاية برنو بنيجيريا، موجودة في الغالب في مدن دارفور.
الفلاتة	• قبيلة نيجيرية بأعداد كبيرة في دارفور وبقية السودان، توفر العمالة لقطاعات عديدة بما فيها الزراعة. تجنبوا في الغالب المشاركة في نزاع دارفور.

[5] تم التحقق من قبل المؤلف أثناء مقابلات مع أعضاء حركة العدل والمساواة خلال زيارة لمعسكرات حركة العدل والمساواة في جنوب السودان، 2014 و2015.